العلاقات السياسية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة وانعكاساتها على الوضع الداخلي في العراق(١٩٥٨ .١٩٦٣)

هاشم عبد الرزاق صالح*

المقدمة:

تميزت الفترة التي أعقبت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بتطور العلاقات الدولية للعراق الجمهوري، اذ شهدت تلك الحقبة عهداً جديداً تغيرت فيه موازين السياسة الخارجية للعراق تغيراً واضحاً. فقد استقل عن التبعية الغربية سياسياً بانسحابه من حلف بغداد، والاتفاقية الثنائية الجائرة مع بريطانية، وشرع بإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع دول الكتلة الشرقية، إلاّ أن تلك السياسة لم يكتب لها الاستمرار طويلاً، لافتقادها لأيديولوجية واضحة، وبروز الحكم الفردي الذي أضفى على السياسة الخارجية صفة الارتجال. فضلاً عن حدوث انقسام وصراع داخل المؤسسة السياسية في العراق، مما نتج عنه أزمات متتالية، وعزلة عربية، فانعكس هذا الوضع على علاقات العراق الدولية التي كانت تمثل في بعض جوانبها انعكاساً للصورة التي كان الوضع العربي آنذاك،حيث كان الصراع قائما على أشده في الوطن العربي بشكل عام والعراق بشكل خاص بين التيار القومي الوحدوي، والتيار الأقليمي اللاوحدوي، مما كان له انعكاس واضح على الشارع العراقي وانقسامه.

تناولت هذه الدراسة الموضوع من خلال ثلاثة محاور. ركّز المحور الأول على بدايات تفكير القوى السياسية المعارضة في العراق(مدنيين وعسكريين) لفتح قنوات اتصال مع الجمهورية العربية المتحدة قبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، في حين حاول المحور الثاني إعطاء صورة عن طبيعة العلاقات بين البلدين بعد ثورة ١٤ تموز، وما أصاب تلك العلاقات من توتر وانحسار،وبشكل خاص بعد أحداث ثورة الموصل ١٩٥٩أما المحور الثالث فقد استعرض بشكل مقتضب التطورات التي

(*) مدرس مساعد/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

حصلت في العلاقات بين البلدين حتى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق، والتي كانت أشبه ما تكون بعملية مد وجزر لطبيعة تلك العلاقات.

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر الأساسية، منها بعض المقابلات لعدد من الشخصيات التي عاصرت تلك الأحداث أو كانت قريبة من مركز صنع القرار، سواء في العراق أو في الجمهورية العربية المتحدة، كما اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على مجموعة من الصحف العراقية التي غطّت أحداث تلك الفترة، فضلاً عن بعض الكتب التي تناولت الموضوع في بعض جوانبه دوّنت في ثبت قائمة المصادر.

أولاً . بوادر العلاقات بين البلدين قبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨:

استحوذت فكرة الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة منذ وقت مبكر قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨على تفكير القوى السياسية في العراق مدنيين وعسكريين، فقد ناقش أعضاء حركة الضباط الأحرار التي تشكلت من تجمعات صغيرة مختلفة في أواخر عام ١٩٥٢ موضوع السياسة الخارجية المستقبلية في حال نجاح الثورة، منها التضامن الأخوي مع الدول العربية وخاصةً مصر، وتدعيم النضال العربي المعادي للاستعمار[١].

وهناك اختلاف بين أعضاء اللجنة العليا حول اقرار هدف الوحدة أو الاتحاد العربي فقد ذكر بعض أعضاء اللجنة العليا أنهم أقروا الوحدة العربية كهدف ضمني، ولكن لم يستقر الانضمام الفوري إلى الجمهورية العربية المتحدة إلاّ في حالة حدوث خطر داخلي أو خارجي يهدد الثورة وما عدا ذلك تتحقق الوحدة بعد فترة انتقال لم تحدد وإجراء استفتاء عام[٢].

---

[١] مقابلة شخصية مع العميد المتقاعد خليل ابراهيم حسين،ببغداد في ١٩٩٨/٣/١٥.

[٢] محاضر جلسات المحكمةالعسكريةالعلياالخاصة(محكمةالشعب)،وزارة الدفاع(بغداد،١٩٥٨. ١٩٦٠)،ج ٥، اعتراف رفعت الحاج سري،ص٢٥١، وعبد الوهاب الأمين،ص٢٥٦،وناجي طالب، ص ٣٣٩، ونعمان ماهر، ص ٣٦٤، وقولهم بأن الوحدة كانت من الأهداف البعيدة. ويذكر السيد ناجي طالب(رئيس وزراء سابق) في مقابلة شخصية أن موضوع الوحدة نُوقش

أما رأي عبد الكريم قاسم رئيس اللجنة العليا للحركة، فيبدو أنه يتفق مع القائلين بإقرار الوحدة أو الاتحاد، ولكن بعد استفتاء الشعب في نهاية فترة الانتقال. فقد سُئِلَ في مؤتمر صحفي في ٢٦ تموز ١٩٥٨ حول رغبته في شكل الاندماج هل هو اتحاد أم وحدة ؟ فأجاب: " ... ان الشعوب هي التي تقرر هذا الأمر "[١].

وقد أدعى عبد السلام عارف بأنه كان قد اتفق مع قاسم على تحقيق الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة في ظرف شهرين، وأنهما اتفقا على طريقة الاستفتاء الشعبي في العراق، بأن يقوم هو بزيارات لكل أنحاء العراق، ثم يعود ليعلن النتيجة بأن الشعب يريد الوحدة، وسيجري استفتاء على ذلك بوضع بطاقتين إحداهما عليها(نعم)، والأخرى عليها لا)[٢]. إلاّ أن قاسم لم يؤيد عارف في ذلك خلال مناقشته له بعد استسلامه ظهر يوم٩ شباط ١٩٦٣وهو في تلك اللحظة الحرجة من حياته قبيل تنفيذ حكم الإعدام به.

ويمكن القول أن عارف وقع في جملة تناقضات قولاً وسلوكاً في تفسيره للوحدة، فهو ينفي، خلال محاكمته أمام المحكمة العسكرية، أنه قد اتخذ قراراً بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة، أو دعى إليها قبل الثورة[٣]. وإذا كان بالإمكان تبرير قوله ذلك بأنه نتيجة للظروف غير الطبيعية، خوفاً من العقاب، إلاّ أن سلوكه بعد الثورة يؤكد عدم الاتفاق على الوحدة الفورية، ويبدو أن عارف كان قد وجد في هدف الوحدة وسيلة لكسب الضباط الأحرار ومنافسة قاسم، فقد كان

كثيراً وبحث بالتفصيل، وكان مقبولاً، ولكن لم يتفق على تنفيذه بعد نجاح الثورة مباشرة، وترك توقيت وصياغة الوحدة إلى الاتفاق مع الأطراف الأخرى، وخاصةً جمال عبد الناصر. مقابلة شخصية معه ببغداد في ١٩٩٨/٤/١٤.

[١] جريدة الزمان، بغداد، ١٩٥٨/٧/٢٧.

[٢] أنظر :مذكرات الرئيس الراحل عبد السلام عارف، المؤسسة القومية للتأليف والترجمة والنشر(بغداد،١٩٦٧)، ص ٣٧.

[٣] أنظر: المحكمة العسكرية العليا الخاصة، ج ٥، ص ٤٤٧.

شعار الوحدة العربية آنذاك كما وصفه أحد الباحثين " يفعل في نفوس الناس فعل السحر "[١].

ومهما يكن من أمر، فقد رأت اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار بعد سنة ١٩٥٧ ضرورة الاتصال بجمال عبد الناصر وطلب الدعم منه وأخذ رأيه في مسألة الثورة، فكلفت صديق شنشل للقيام بتلك المهمة فسافر إلى القاهرة واجتمع مع عبد الناصر، الذي أبدى استعداده المطلق لمساندة الثورة، وأنه سيضع جميع الامكانيات المتاحة له السياسية والعسكرية، تحت تصرف الثورة العراقية[٢]. كما تعهد بتأمين المساعدات الخارجية، وبشكل خاص من الاتحاد السوفيتي، لدعم الثورة وإسنادها[٣]. وللسبب نفسه كان قاسم قد أرسل حسين جميل وهو أحد أقطاب الحزب الوطني الديمقراطي بشكل سري إلى القاهرة لغرض تأكيد الحصول على تلك المساعدات[٤]. وقد استمرت تلك الاتصالات السرية بين تنظيم الضباط الأحرار والمسؤولين في العربية المتحدة، ففي ١٢ تموز ١٩٥٨ أرسل عبد السلام عارف مبعوثاً إلى وزير داخلية الاقليم الشمالي للعربية المتحدة عبد الحميد السراج يخبره بموعد تنفيذ الثورة[٥].

. موقف الجمهورية العربية المتحدة من قيام ثورة ١٤تموز١٩٥٨في العراق:

ما أن أُعلِنَ عن قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق حتى بادرت الجمهورية العربية المتحدة إلى إعلان تأييدها الفوري. ومن المفيد بالإشارة إلى أن أول إجراء أقدمت عليه الحكومة العراقية بعد الثورة على الساحة العربية هو

---

(١) مجيدخدوري،العراقالجمهوري،الدارالعربية للنشر(بيروت،١٩٧٤)،ص١٢٤.

(٢) محمد حسين الزبيدي،ثورة١٤تموز١٩٥٨في العراق أسبابهاومقوماتها ومسيرتها وتنظيمات الضباط الأحرار،دارالحرية للطباعة(بغداد،١٩٨٣)، ص٤٠٤.

(٣) صبحي عبد الحميد، أسرار ثورة ١٤ تموز في العراق، البداية، التنظيم، التنفيذ، الإشراف، ط ٢،الدار العربية للموسوعات(بيروت، ١٩٩٤)، ص ١٥٥.

(٤) الزبيدي، ثورة ١٤ تموز، مصدر سابق، ص ٤٠٧.

(٥) عبد الحميد، أسرار ثورة ١٤ تموز، مصدر سابق، ص ١٥٦.

الاعتراف بحكومة الجمهورية العربية المتحدة، لأن النظام الملكي السابق لم يعترف بها، وقد أرسلت الحكومة العراقية برقية بهذا المعنى إلى الرئيس عبد الناصر[١]. وفي المقابل أعلنت الجمهورية العربية المتحدة، في برقية لها إلى حكومة العراق، اعترافها بالنظام الجمهوري في العراق في اليوم الثاني لقيام الثورة[٢].

مهما يكن من أمر فقد كان لهذا الاعتراف أثره الكبير في دعم موقف الثورة، نظراً للوزن السياسي للعربية المتحدة آنذاك، واقتفاء الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز أثرها في الاعتراف بحكومة العراق وتعزيز موقفها الدولي. وعلى الصعيد الإعلامي جندت العربية المتحدة وسائل اعلامها المسموعة والمقروءة والمرئية لتأييد ثورة العراق بشكل واسع.

. ارسال فائق السامرائي إلى العربية المتحدة لطلب الدعم السياسي والعسكري:

منذ اليوم الأول للثورة أُرسل فائق السامرائي * إلى القاهرة في مهمة سياسية وعسكرية، ويصف السامرائي موقف المسؤولين هناك بقوله: ".. بادر الرئيس جمال عبد الناصر إلى اعلان موقف الجمهورية العربية المتحدة واعتبر أن أي اعتداء يقع على العراق هو عدوان على الجمهورية العربية المتحدة،وعندما وصلتُ إلى القاهرة اجتمعت بالمشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة، وفي ذلك الاجتماع علمت أن باخرة حُمِّلَتْ بالأسلحة وصلت إلى اللاذقية في طريقها إلى العراق وأن باخرة أخرى ستبحر صبيحة اليوم

---

[١] مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار الأمين عبد الكريم قاسم، مطبعة الحكومة،(بغداد،١٩٦٠)، ص ١٦.

[٢] جريدة الزمان، ١٩٥٨/٧/١٦.

* صحفي وأديب معروف،ولد في مدينة العمارة عام ١٩٠٨،نائب رئيس حزب الاستقلال العراقي،أصبح سفير العراق في العربية المتحدة بعد قيام ثورة ١٤ تموز،استقال من منصبه احتجاجاً على سياسة قاسم الأقليمية،ومكث في القاهرة حتى سقوط نظام قاسم،توفي عام١٩٧٩. للتفاصيل،أنظر:أعلام الصحافة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،(تونس، ١٩٩٧)،ص ص١٩٤،١٩١.

التالي[١]. وعلى ما يبدو أن العربية المتحدة أقدمت على تنفيذ وعدها بمساندة الثورة العراقية، فقد تمَّ تكديس كميات كبيرة من الأسلحة والأعتدة في الأقليم الشمالي سوريا استعداداً لدعم الحكومة العراقية عند الحاجة[٢].

. زيارة عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي:

في الوقت الذي قامت فيه ثورة ١٤ تموز كان عبد الناصر يقوم بزيارة رسمية إلى يوغسلافيا، فما أن سمع بنبأ الثورة حتى أعلن عن موقف العربية المتحدة من الثورة بقوله:" إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعلن أن أي عدوان على الجمهورية العراقية يعتبر في الوقت نفسه عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة وفي هذه الحالة ستقوم الجمهورية العربية المتحدة بكافة التزاماتها تجاه الجمهورية العراقية "[٣]. ثُمَّ قطع زيارته وتوجه عن طريق البحر عائداً إلى العربية المتحدة، غير أنه قرر السفر إلى موسكو لمعرفة موقف السوفييت، وهناك التقى برئيس الاتحاد السوفيتي خروشوف وأجرى معه مباحثات حول احتمالات التدخل الأجنبي ضد العراق والعربية المتحدة، وطلب ضمانات لمنع ذلك، وفي طريق عودته أرسل عبد الناصر تحية إلى قاسم خلال مروره في سماء بغداد يوم ١٩٥٨/٧/١٨[٤].

ومهما يكن من أمر فقد كانت مبادرة عبد الناصر تلك ذات أهمية كبيرة للثورة العراقية، وكان لها صدى واسع في العالم وأثراً في تثبيط عزائم المفكرين بالتدخل.

. اتفاقية ١٩ تموز مع الجمهورية العربية المتحدة:

---

[١] انعام الجندي، إلى أين يسير الشيوعيون بالعراق، دار النشر العربية،(بيروت،١٩٥٩)، ص ص١٠٨، ١١٠.

[٢] الزبيدي، المصدر السابق، ص ١١٠.

[٣] محمد حسنين هيكل،سنوات الغليان،مطابع الأهرام التجارية،(القاهرة،١٩٨٨)،ص٣٧٢.

[٤] مذكرات الرئيس الراحل، مصدر سابق، ص ص ٥٣ . ٥٤.

نظراً لمواقف عبد الناصر المساند لثورة ١٤ تموز، فقد تقرر في مجلس الوزراء العراقي مساء ١٨ تموز إرسال وفد لمقابلته، فتمَّ تشكيل وفد برئاسة عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وكلاً من: د.عبد الجبار الجومرد و محمد صديق شنشل وزير الارشاد،ومحمد حديد وزير المالية،وعدد من ضباط الجيش، وغادر الوفد إلى دمشق صباح يوم ١٩ تموز، واستقبل بحفاوة بالغة، وعقد أعضاء الوفد العسكري اجتماعين مع ممثلي الجيش في العربية المتحدة لبحث احتياجات الثورة، وقال عبد الناصر: " ... إنني مستعدٍ أن أوقع أي شيء تكتبونه، فحركتنا واحدة وسبيلنا واحد، وكفاحنا واحد، واعتبروني جندياً معكم "[١]. وفي نهاية الاجتماع تم التوقيع على اتفاق بين الجانبين، تضمن التأكيد على ما يربط بين البلدين من عهود ومواثيق، وتأكيد موقفهما الموحد في الدفاع ضد أي عدوان عليهما، كذلك التأكيد على اتخاذ الخطوات العاجلة لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين[٢].

كان لإعلان هذه الاتفاقية بين أكبر وأقوى دولتين عربيتين في المنطقة العربية تأثيره الكبير على الصعيد العالمي لأنه جسّد الأرادة العربية المستقلة في الدفاع المشترك ضد أي عدوان، وقد أعقب هذا الاتفاق ارسال كتيبة مدفعية سورية ضد الجو، وسرب من طائرات الميك إلى الحباني[٣].

فتحت ثورة ١٤ تموز آفاقاً واسعة للتعاون بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وكانت لاتفاقية ١٩ تموز ١٩٥٨ بين البلدين أهمية بارزة للتعاون العسكري والاقتصادي والثقافي، حيث تبودلت الزيارات الرسمية والشعبية على نطاق واسع، كما تبادل الطرفان السفراء، وتقرر تأسيس قنصلية عراقية في دمشق نتيجة

---

(١) مذكرات الرئيس الراحل، مصدر سابق، ص ص ٥٣ . ٥٤.

(٢) جريدة الزمان ١٩٥٨/٧/٢٠.

(٣) ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، أسبابها ومقوماتها ومسيرتها وتنظيمالضباط الأحرار، دار الحرية للطباعة(بغداد، ١٩٧٩)، ص ٢٨٩.

الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة[١]. وقامت الحكومة العراقية بتسليم الأمير محمود نامق من الأسرة المالكة المصرية السابقة،إلى سلطات العربية المتحدة،لتعاونه مع النظام الملكي السابق ضد العربية المتحدة[٢]، كما سُلِّمَ المذيع المصري سعيد لطفي الذي كان يهاجم العربية المتحدة وعبد الناصر من اذاعة بغداد في العهد الملكي[٣]، في الوقت نفسه أحدثت المحكمة العسكرية العليا الخاصة لرجال العهد الملكي المتهمين بالتآمر على سورية ومهاجمة عبد الناصر ارتياحاً في أوساط العربية المتحدة[٤].

. الموقف من قضية الوحدة:

رغم أن هدف تحقيق الوحدة العربية كان من جملة أهداف حركة الضباط الأحرار، وضمن برامج جبهة الاتحاد الوطني *، فإن الثورة لم تتطرق إليه بشكل صريح، وعلى ما يبدو أن الخلافات التي حدثت فيما بعد بين الضباط الأحرار والقوى السياسية المختلفة وانقسامها على نفسها، ثم تناحرها كان وراء التباين في ذلك.

فقاسم كان يستبعد الوحدة الفورية والاندماجية مع الجمهورية العربية المتحدة، وكان ينظر بارتياب نحو عبد الناصر في نواياه تجاهه وتجاه الثورة في العراق، وكان يظن أنه يعمل لضم العراق إلى العربية المتحدة، لذلك سعى بكل وسيلة

---

(١) جريدة الجمهورية، ١٣/٨/١٩٥٨.

(٢) قحطان أحمد سليمان،السياسة الخارجية العراقية من ١٤ تموز١٩٥٨ إلى شباط١٩٦٣،رسالة ماجستير،غيرمنشورة،(جامعة بغداد،١٩٧٨)،ص١٥٨.

(٣) أنظر: جريدة الجمهورية، ٥/٨/١٩٥٨.

(٤) سليمان، السياسة الخارجية العراقية، مصدر سابق، ص ١٥٨.

* ائتلاف حزبي ضمَّ أربعة أحزاب هي:الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي وحزب البعصوحزب الاستقلال،تشكل في شباط ١٩٥٧. كان للجبهة دور واضح في قيام ثورة ١٤ تموز. للتفاصيل،أنظر: عبد الجبار عبد مصطفى،تجربة العمل الجبهوي في العراق بين ١٩٢١ . ١٩٥٨،دار الحرية للطباعة(بغداد، ١٩٧٨)،ص٥٠ وما بعدها.

للإبتعاد عنه[١]. وقد جاء في تقرير بعثة السفير الأمريكي في بغداد جون جالمان إلى واشنطن ذكر فيه أن قاسم لا يفكر في الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة. وفي تقرير آخر قال جالمان: " ... انني أستطيع أن أجد في عبد الكريم قاسم منافساً لعبد الناصر أكثر مما أرى فيه صديقاً له "[٢].

أما عارف فكان واضحاً وصريحاً في آرائه ومواقفه أزاء موضوع الوحدة مع العربية المتحدة[٣]. فيما انقسم الوزراء في مواقفهم من هذه القضية، قسم يؤيد قاسم والقسم الآخر يؤيد عارف[٤]. أما العسكريون، فرغم كونهم من مؤيدي الوحدة، إلاّ أنهم لم يقروا تصرفات عارف لإعلان الوحدة الفورية ويرون وجوب التريث في ذلك[٥].

أما موقف العربية المتحدة، فقد جرى حديث طويل حول هذا الموضوع بين عبد الناصر وعارف خلال زيارة الأخير ضمن وفد عراقي إلى العربية المتحدة إلى دمشق في ١٩ تموز ١٩٥٨، فيذكر عارف حول هذا اللقاء قائلاً: "... دار حديث طويل حول الوحدة،وكان الرئيس عبد الناصر يرى أن على الثورة أن تدعم نفسها أولاً وأن تقضي على أعدائها "[٦].

في حين هناك من يرى أن عبد الناصر كان متحمساً لانضمام العراق إلى العربية المتحدة، وأنه بدأ يعمل على تحقيق هذا الهدف عن طريق تشجيعه المستمر لعارف ودفعه للإسراع بإعلان الوحدة، وقد أعرب عبد اللطيف البغدادي نائب رئيس الجمهورية العربية آنذاك في مذكرته عن قلقه عن خطورة السياسة التي

---

(١) فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية للفترة ١٩٥٣-١٩٥٨، رسالة ماجستير، غير منشورة،(جامعة بغداد، ١٩٧٩)، ص ص٣٤٠-٣٤٥.

(٢) هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ٣٨٩.

(٣) مذكرات الرئيس الراحل، مصدر سابق، ص ص ١٦ . ٢٢.

(٤) مقابلةشخصيةمع ناجي طالب(رئس وزراء سابق)ببغداد في ١٩٥٨/٤/١٤.

(٥) أنظر: المحاكمات، ج ٥، ص ص ٢٢٩ .، ٤٢٣.

(٦) مذكرات الرئيس الراحل، مصدر سابق، ص ٥٣.

ينتهجها عبد الناصر تجاه العراق قائلاً:" ... أحسست أن هذا ربّما تسبب عنه صدام بين قاسم وعارف متذكراً ما كان قد حدث بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر، ولمّا تحدثت إلى جمال في هذا الأمر وجدتهُ مقتنعاً بما يفعله، وتجاهل جمال الشك الذي ربما ينتاب قاسم في نوايانا "(١).

. بداية تأزم العلاقات:

وجّه عبد الناصر عدة برقيات إلى قاسم للإجتماع به للتفاهم حول مستقبل العلاقات بين البلدين، إلاّ أن قاسم رفضها جميعاً، وفي هذا يقول عبد الناصر: " ... فبادرت بالكتابة إليه وطلبت أن نلتقي،فرد عليَّ بأنه غير مستعد للقاء، واستمرت الأمور على هذا النحو إلى أن بدأ الهجوم علينا في بعض الصحف، وكان يقوم بهذا الهجوم الشيوعيين، ولم يقتصر الهجوم على الصحف، بل شمل أيضاً الاذاعة، وظهر لنا جلياً أنه ليس مستعد لتقوية التضامن العربي أو تقوية الوحدة العربية "(٢).

تأزمت العلاقات بين البلدين مرة أخرى بعد اعلان السلطات العراقية عن اكتشافها مؤامرة رشيد عالي الكيلاني وضلوع العربية المتحدة تدبيرها، فتوترت العلاقات على الصعيد الرسمي والشعبي،وشنت وسائل اعلام العربية المتحدة هجوماً واسعاً على حكومة العراق(٣).

في الوقت نفسه أنزلت صور عبد الناصر من بعض الشوارع ومزقت، كما قامت مظاهرات عدائية خلال زيارة وزير التربية والتعليم في العربية المتحدة إلى بغداد لتوقيع اتفاقية الوحدة الثقافية(٤). كما لحقت الاهانات بوفد محاميي العربية

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادي،ج٢،المكتب المصري الحديث،(القاهرة،بلا. ت)،ص.

(٢) هيكل، مصدر سابق، ص٤٢١.

(٣) للتفاصيل،أنظر:يعقوب كاروز،الاستخبارات العربية، ترجمة من اللغة العبرية، مديريةالاستخبارات العسكرية العامة(ببغداد،١٩٧٨)،ص ص٩٠/٩١.

(٤) عدنان الراوي،من القاهرة إلى معتقل قاسم،دار الآداب،(بيروت، ١٩٦٣)، ص٤١.

المتحدة خلال حضورهم اجتماعات مؤتمر المحامين العرب في بغداد، فضلاً عن قيام رئيس المحكمة العسكرية بمهاجمة العربية المتحدة ورئيسها[١].

رغم ذلك لم تنقطع خيوط الصلة بين عبد الناصر وقاسم، إذ تبادلا التهنئة في المناسبات الوطنية، مثل عيد النصر في ١٩٥٨/٢/٢٣، وعيد الوحدة في ١٩٥٨/٢/٢٢[٢].

ثانياً . موقف الجمهورية العربية المتحدة من ثورة الموصل ١٩٥٩:

أقلق ازدياد النشاط الشيوعي في العراق، وانحياز نظام قاسم إلى جانبهم، المسؤولين في العربية المتحدة، وأثار مخاوفهم من احتمال وقوع العراق تحت الهيمنة الشيوعية، فيذكر صلاح نصر مدير المخابرات المصرية، أنه: " ... نتيجة هذا الوضع ألح عبد الحميد السراج على عبد الناصر بضرورة تدبير انقلاب على قاسم، وأقنعه بأنه إذا لم يتم هذا التدبير، فإن العراق سوف يقع في أيدي الشيوعيين لا محالة "[٣].

من هذا المنطلق شنت وسائل الإعلام العربية المتحدة هجوماً عنيفاً على الشيوعيين في العراق واصفة إياهم بالعملاء للأجانب، وأعداء الوحدة العربية[٤].غير أن المسؤولين في العربية المتحدة أدركوا أن وسائل الإعلام لا تكفي وحدها لإسقاط نظام قاسم، لذلك أخذوا يفكرون بالتدخل عسكرياً لتحقيق هذا الهدف، فبدأت عملية تحريض العشائر العراقية ضد السلطة، والقيام باتصالات مكشوفة مع عدد من ضباط اللواء الخامس في الموصل[٥]. واستمرت العربية

---

(١) للتفاصيل، أنظر: المحاكمات، ج ٥.

(٢) جريدة البلاد، ١٩٥٨/١٢/٢٥، ٢٤. ١٩٥٩/٢.

(٣) صلاح نصر،عبد الناصر وتجربة الوحدة،مطبعة الوطن العربي،(القاهرة،١٩٧٦)،ص١٧٧

(٤) أويل دان، العراق في عهد قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣، ترجمة وتعليق:جرجيس فتح الله، دار نبز للطباعة(السويد، ١٩٨٩)، ص ٢٠٥.

(٥) للتفاصيل، أنظر:هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، ثورة الموصل القومية ١٩٥٩، دراسة تاريخية،رسالة ماجستير، غير منشورة،(جامعة الموصل، ١٩٩٩)، ص ٧٨.

المتحدة في موقفها الواضح . إعلامياً وعسكرياً . لدعم قوى المعارضة داخل العراق لإسقاط النظام القائم.

ضمن الاستعداد للثورة، رأى عبد الوهاب الشواف آمر اللواء الخامس في الموصل، ضرورة الاتصال بالعربية المتحدة للحصول على الدعم الكامل للثورة، وتم الاتصال عن طريق بعض ضباط اللواء منهم الرائد الركن محمود عزيز الذي تمكن من مقابلة السراج، الذي أبدى ترحيبه وموافقته على تقديم الدعم والمساعدة، والتي تتضمن محطة إذاعة داخلية، وعدد من المتطوعين، وأسلحة خفيفة وعتاد[١].

في وقت متأخر من صباح يوم الأثنين، الثامن من آذار ١٩٥٩، أذيع عبر الأثير بيان الثورة، ومهما يكن من أمر فقد أحاطت بثورة الموصل ظروف ذاتية وموضوعية أدت إلى إخفاقِها بصورة مأساوية في اليوم التالي لإعلانها[٢].

كان عبد الناصر يراقب الأحداث بقلق شديد من دمشق، واعتبر أنّ ما يجري في العراق هي معركته مع قاسم[٣]، وفي محاولة لمساندة الثورة بعد انتحار قائدها الشواف، ولرفع معنويات الضباط، أرسل عبد الناصر مصطفى حمدون وزير الزراعة في حكومة العربية المتحدة إلى منطقة تل كوجك، لحث عشائر شمر والقبائل الأخرى لمساندة الثورة والضغط على حكومة قاسم[٤]. كما خطب عبد الناصر في جموع الطلبة المتظاهرين يوم ١١ آذار، وندد بـ قاسم وأطلق عليه قاسم العراق، ووصف الشيوعيون بأنهم عملاء للإستعمار[٥].

---

(١) خليل ابراهيم حسين،موسوعة ١٤ تموز،ج٤،دار الحرية للطباعة،(بغداد،١٩٨٨)،ص٦٤.

(٢) للتفاصيل، أنظر: الطائي، مصدر سابق، ص ص ١٧٢ . ١٧٣.

(٣) البغدادي، مصدر سابق، ص ٨٣.

(٤) مقابلة شخصية مع الرئيس السوري السابق أمين الحافظ، ببغداد في ١٩٩٨/١٠/٨.

(٥) للتفاصيل،أنظر:المجموعة الكاملة لخطب وأحاديث وتصريحات جمال عبد الناصر،ج٣/١٩٥٨-١٩٥٩،مركز دراسات الوحدة العربية(بيروت، ١٩٩٩،ص ص٤٧٣ وما بعدها.

بلغ توتر الموقف بين العراق والعربية المتحدة ذروته بعد إخفاق ثورة الموصل، إذ أصدر قاسم قراراً بإبعاد الملحق العسكري عبد المجيد فريد والملحق التجاري يوسف المعمار من بغداد كونهما غير مرغوب فيهما[١].وفي المقابل أبعدت العربية المتحدة بعضاً من موظفي السفارة العراقية في القاهرة للسبب نفسه، كما شنت إذاعة صوت العرب أقسى الحملات ضد المخططات الشيوعية في العراق، وضد سياسة قاسم[٢].

وفي المقابل شنّت الصحف العراقية الموالية للنظام حملة إعلامية ضد سياسة عبد الناصر منتقدة تدخله في الشؤون الداخلية للعراق[٣]، فضلاً عن الكلام البذيء الذي وجّهه إلى عبد الناصر رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة المهداوي[٤].

تبادل البَلَدان، بالإضافة إلى الحرب الكلامية، ما يمكن أن يطلق عليه بـ حرب المذكرات خلال الأشهر العديدة التي أعقبت ثورة الموصل. فقد قدمت العربية المتحدة احتجاجاً في ١٤ آذار بسبب الاعتداء على القرى الحدودية، واختراق ثلاث طائرات عراقية للحدود. وأجاب العراق في ١٧ آذار بعدم حصول أي اعتداء، وأشار إلى تسلل من سوريا إلى العراق.وفي ٢٦ آذار احتج العراق بسبب قيام سلطات العربية المتحدة بفتح بريد القنصلية العراقية في حلب[٥].

كما شهدت القاهرة ودمشق تظاهرات شعبية استنكارية أثر تنفيذ حكم الإعدام بالمشاركين في ثورة الموصل بأم الطبول في ١٩٥٩/٩/٢٠[٦]. وتجدر الاشارة هنا إلى أنّ الجمهورية العربية المتحدة تتحمل جزءاً من مسؤولية إعدام كوكبة من

---

(١) جريدة الثورة/١٩٥٩/٣/١١.

(٢) مقابلة شخصية مع أمين الحافظ، ببغداد في ١٩٩٨/١٠/٨.

(٣) أنظر: جريدة اتحاد الشعب، ١٣/آذار/١٩٥٩، جريدة الزمان، ٦/نيسان/١٩٥٩، جريدةالثورة، ٢٣/نيسان/١١٩٥٩.

(٤) أنظر: المحاكمات، ج ٢٠.

(٥) سليمان، السياسة الخارجية العراقية، مصدر سابق، ص ص ١٦٩ . ١٧٠.

(٦) أنظر: الطائي، ثورة الموصل، مصدر سابق، ص ص ١٦٩ . ١٧٠.

ضباط الجيش العراقي في ساحة أم الطبول ببغداد، نتيجة شنّها حملة اعلامية بدت في وقتها تحريضية استفزت قاسم ودفعته لإعدام هؤلاء الضباط. وعندما عوتب عبد الناصر ي ذلك فيمت بعدد، أجاب قائلاً:" ... كان من الضروري أن تذهب ضحايا وتسفك دماء لإسقاط عبد الكريم قاسم "[١]، وعلى ما يبدو أن مسألة اعدام الضباط الأحرار كانت قد استخدمت لأغراض سياسية من لدن المسؤولين في العربية المتحدة لتكون ورقة ضغط أو تحريض ضد نظام قاسم في صراعهم معه.

حاولت بعض الأوساط العربية الرسمية التدخل لحل الخلاف القائم بين العراق والعربية المتحدة، فقد بحثت اللجنة السياسية العليا لجامعة الدول العربية في اجتماعها المنعقد بتاريخ ١٩٥٩/٩/٢٣، الموقف الراهن بين الجمهورية العراقية والعربية المتحدة وأوصت بعقد وزراء خارجية الدول الأعضاء اجتماعاً عاجلاً لمعالجة الموقف المتدهور بين البلدين[٢].

كما دعت السودان إلى عقد اجتماع لمجلس الجامعة العربية لبحث الخلافات بين البلدين وتسويتها، فنظّم اجتماع في بيروت بتاريخ ١٩٥٩/٤/٧، إلاّ أن العراق لم يشارك في هذا الاجتماع على أساس أنه ليس المسؤول عن تردي العلاقات بين البلدين، وأنّ الأمرلا يتطلب الوساطة إذا كفّت العربية المتحدة عن تدخلها في شؤون العراق. كما قاطع العراق معظم الاجتماعات التي كانت تعقد في القاهرة[٣].

ثالثاً . تطور العلاقات بين البلدين حتى انقلاب شباط ١٩٦٣:

بعد إخفاق ثورة الموصل ١٩٥٩، استمرت العلاقات بين البلدين متوترة حتى عام ١٩٦٠، حين وقعت حادثة الباخرة المصرية(كليوباترة) في ١٣ نيسان ١٩٦٠ بسبب مقاطعة عمال الشحن والتفريغ في ميناء نيويورك تفريغ حمولة الباخرة العربية، بتأثير من الأوساط الصهيونية التي أرادت أن تكسر طوق المقاطعة

---

(١) أنظر :نهاد الغادري،الكتاب الأسود في حقيقة عبد الناصر وموقفه من الوحدة والاشتراكية وقضية فلسطين(د. م، د. ت)، ص ٥٣.

(٢) سليمان، مصدر سابق، ص ٣٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

العربية للكيان الصهيوني، وسرعان ما تضامن العمال العرب في تأييد عمال العربية المتحدة لمقاطعة البواخر الأمريكية التي تصل إلى الموانيء العربية(١). وقد استنكر العراق هذا العمل العدواني التآمري، فأصدرت وزارة الخارجية العراقية بياناً في٢٤ نيسان أشارت فيه بأن هذا الحادث هو مؤامرة صهيونية ضد الشعب العربي،وأنها حلقة ضمن سلسلة طويلة من المؤامرات العدوانية التي يحيكها وينظمها الكيان الصهيوني، ومن واجب الدول العربية الوقوف صفاً واحداً في رد هذا الاعتداء، كما أعلن الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق استنكاره لمقاطعة تفريغ الباخرة العربية، واستعداده للوقوف مع عمال ونقابات الأقطار العربية(٢)، فاضطرت وزارة الخارجية الأمريكية، أمام هذا التضامن العربي إلى التدخل لإنهاء مقاطعة الباخرة كليوباترة، وتم إلغاء المقاطعة في ٦ مايس ١٩٦٠(٣).

وخلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول ١٩٦٠، التقى وزير الخارجية العراقية هاشم جواد بالرئيس عبد الناصر وأجرى معه مباحثات حول مستقبل العلاقات بين البلدين.وبمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب ببغداد في ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٠، وصل بغداد وزير خارجية العربية المتحدة محمود رياض واجتمع مع قاسم، ويبدو أن اتفاقاً قد تمَّ لإزالة التوتر في العلاقات بين البلدين(٤).

. موقف الجمهورية العربية المتحدة من مطالبة العراق بالكويت،وعودة التوتر:

في مساء ٢٥ حزيران ١٩٦١ عقد قاسم مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أن الكويت جزء لا يتجزأ من العراق.وأشار إلى أن العراق سيتبع الوسائل السلمية لضمان حقوقه(٥).

---

(١) سليمان، مصدر سابق، ص ٢٧٣.
(٢) جريدة الثورة، ٢٥/، ١٩٦٠/٤/٢٥.
(٣) سليمان، المصدر السابق، ص ٢٧٤.
(٤) سليمان، مصدر سابق، ص ٢٧٤.
(٥) انظر: جريدة الثورة، ١٩٦١/٦/٢٦.

وقفت العربية المتحدة بوجه مطالبة العراق في ضم الكويت إليه، وقد عبّرت عن موقفها هذا بالبيان الرسمي الذي أصدرته بهذا الشأن في ٢٨ حزيران[١].

وقد تجاهل موقف العربية المتحدة أن المصالح الاستعمارية والبريطانية بشكل خاص قد تركزت وأتسعت في الكويت إلى حد كبير جداً. وتجاهل أيضاً أن فئة معينة نمت مصالحها وأتسعت أيضاً بسبب هذا الوضع، وارتبط بقائها ببقاء المصالح الأجنبية، وأصبحت أي بادرة ارتباط بالعراق أو حتى بأي قطر آخر سواءً وحدة شاملة أو جزئية يشكل تهديداً لوضعها ومصالحها معاً.

إنّ قيام أزمة الكويت ووقوف العربية المتحدة إلى جانب الكويت أعاد التوتر بين البلدين مرة أخرى، وزاده انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في ٢٨ أيلول ١٩٦١ واعتراف العراق بها في ٩ تشرين الأول ١٩٦١. وتمَّ عقد اتفاقية اقتصادية بين سوريا والعراق، فأدّى ذلك إلى خشية مصر من اتحاد سوريا والعراق[٢].

وفي الحقيقة كان الرأي العام العراقي ضد الإنفصال، فقد شجبت الأحزاب القومية عملية الإنفصال[٣].كما نددت الصحف القومية العراقية بالإنفصال ودعت إلى عدم الاعتراف به[٤]. غير أن مرور الوقت وعدم استطاعة(عبد الناصر) من القضاء على الانفصال أدى إلى اعلان العراق اعترافه به بشكل رسمي.

. موقف الجمهورية العربية المتحدة من انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣:

بعد الإعلان عن انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، حظي بتأييد عربي شامل، وبشكل خاص من العربية المتحدة التي رحبت بالتطورات الجديدة في العراق،

---

(١) الزبيدي، مصدر سابق، ص ص ٣٥٣ . ٣٥٤.

(٢) سليمان، مصدر سابق، ص ١٧٦.

(٣) نضال البعث،ج ٧،القطر العراقي ١٩٥٨ــ١٩٦٣،دار الطليعة للطباعة والنشر،(بغداد،بلا.ت)،ص ١٧١.

(٤) جريدة الثورة، ١٩٦١/١٠/٢.

واعتبرتها نصراً كبيراً للقوى الثورية القومية في الوطن العربي[١]، وعلى ما يبدو أن اتصالاً كان قد تمَّ بين الأنقلابيين وعبد الناصر لطلب الدعم العسكري للإنقلاب، وبدأ أول اتصال رسمي بين العراق والعربية المتحدة مساء اليوم الأول للإنقلاب، فقد بعث الرئيس عبد السلام عارف رسالة إلى عبد الناصر جاء فيها: " انني أخوك الوفي الباقي على العهد ". كما شارك عدد من أعضاء " مجلس قيادة الثورة العراقي " في احتفالات عيد الوحدة في القاهرة بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة[٢].

وفي يوم ١٤ آذار ١٩٦٣، سافر وفد من " مجلس قيادة الثورة العراقية " يرأسه السيد علي صالح السعدي إلى القاهرة، ثم تبعه وفد سوري يرأسه نهاد القاسم نائب رئيس الوزراء السوري. وفي ١٥ آذار عقد عبد الناصر اجتماعاً في قصر القبة ضم الدول الثلاث مصر وسوريا والعراق للتباحث في موضوع الوحدة الثلاثية بين هذه الأقطار، توصل المجتمعون في نهاية تلك المباحثات إلى توقيع بيان مشترك لإنشاء جمهورية عربية متحدة تضم مصر وسوريا والعراق عاصمتها القاهرة. إلاّ أن هذا الميثاق لم يدخل حيّز التنفيذ[٣]. وهكذا أتسمت العلاقات بين البلدين منذ نهاية الخمسينيات بالتذبذب وعدم الاستقرار.

---

(١) للتفاصيل، أنظر: صالح حسين الجبوري، ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق، أسبابها مقدماتها قيامها،رسالة ماجستير ،غير منشورة،(الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦)، ص.

(٢) هيكل، سنوات الغليان،مصدر سابق، ص ص ٦٧٨ . ٦٧٩.

(٣) للتفاصيل، أنظر: المصدر نفسه، ص ٦٩٩.

الخاتمة

شهدت أقطار الوطن العربي في فترة الخمسينات ظاهرة تصاعد المد القومي التحرري، خاصةً بعد ثورة تموز ١٩٥٢ في مصر، وبروز شخصية الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي اعتبر آنذاك رائد القومية العربية، لذلك أخذت القوى السياسية والعسكرية في بعض أقطار الوطن العربي تحاول السير على نفس الطريق الذي سارت عليه مصر في حصولها على تحررها واستقلالها الوطني، فبدأت بعض القوى السياسية في العراق التي كانت تهدف إلى إسقاط النظام الملكي وتحقيق الوحدة العربية الاتصال بـ عبد الناصر للتشاور معه حول تحقيق هذا الهدف وخاصةً بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا وتشكيل الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ شباط ١٩٥٨.

وضعت العربية المتحدة جميع إمكانياتها لإسناد الثورة التي تحققت في ١٤ تموز ١٩٥٨، وقد حاولت بعض القوى السياسية ذات التوجيه القومي الأخذ بيد الثورة نحو تحقيق أهدافها وطنياً وقومياً، وإقامة علاقات طيبة مع الدول العربية، ثمَّ إقامة وحدة عربية شاملة تتكون نواتها باتحاد العراق مع العربية المتحدة، لكن كل ذلك اصطدم بالتسلط الفردي للعميد الركن عبد الكريم قاسم، وتنكره لمبادئ الثورة فأخذ يبتعد في سياسته الخارجية عن الخط القومي الوحدوي بعد فترة قصيرة من قيام الثورة.

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات الودية بين البلدين لم يقدر لها أن تستمر طويلاً نتيجة تأزم العلاقات بين البلدين والتي وصلت إلى مرحلة القطيعة التامة بعد ثورة الموصل ١٩٥٩، ويرجع ذلك إلى تأثيرات القوى الخارجية، واختلاف توجهات كل من قاسم، وعبد الناصر في قضايا السياسة الخارجية، حيث أخذ قاسم يتبنى بعض أفكار الحزب الشيوعي وبشكل خاص موقفه المعادي لأي مشروع عربي وحدوي، الأمر الذي أدى إلى اصطدامه مع طموحات عبد الناصر في إقامة وحدة عربية شاملة.

كما لعبت الدوائر الاستعمارية دوراً واضحاً في إثارة الخلاف بين قاسم وعبد الناصر، ضمن السياسة الاستعمارية المعروفة(فرّق تسد) للحيلولة دون قيام وحدة عربية شاملة تهدد مصالح تلك القوى في المنطقة، لذلك فإن العلاقات بين البلدين شهدت توتراً مستمراً طوال فترة حكم عبد الكريم قاسم الذي شكّك في نوايا عبد الناصر، واستغلاله هدف الوحدة العربية لتحقيق مكاسب شخصية، وما يؤكد هذا اختلاف دعاة الوحدة الفورية أنفسهم مع عبد الناصر، وعدم تمكنهم من إقامة تلك الوحدة بعد سقوط نظام عبد الكريم قاسم.

Abstract

The Political Relations Between Iraq the United Arab Republic and their reflections on the Internal Affairs in Iraq:(1958-693)

Hāshim A. Sālih *

In the wake of the 14 July 1958 revolution there was a significant change in the foreing relations of Iraq. This era has witnessed a new stage of remarkale development in these relations. In this stage Iraq built new diplomatic relations with the Estern bloc. It also became dependent since it pulled out of the so called Baghdad Coalition and the common Iraqi-British Agreement.

The current study is an attempt to shed some lights on the relation between Iraq and the United Arab Republic at that period. It investigates the nature of theses relations. Similarly, it studies the consequence developments of theses relations up till 8 Feb. 1963.

)* ʿAssist. Lec.- Dept. Of History-College of Arts/University of Mosul.